صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية توعوية منوعة

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 82 | الجمعة 17 تشرين الأول | 2014

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

حاجز الدحروج

هذا الأسبوع

عندما تُنتهك السيادة..

عيون الثورة بأقلامها

ما بعد الشتات

إلى جانب الثورة

بين مطرقة النظام..

هذا الأسبوع

انتخب الائتلاف السوري " أحمد طعمة " رئيساً للحكومة المؤقتة وسط خلافات وانقسامات داخل صفوف المعارضة، وهو ما وصف بالتعنت من قبل " الإخوان".

المسرحية الهزلية التي يقدمها الائتلاف هذه مستمرة والممثلين يتقاتلون على الأدوار، بينما يعيش الداخل مشهد الموت التراجيدي كل يوم.

كان من المفترض أن يلعب الائتلاف دوراً في دعم الثوار وتقديم السلاح اللازم، يبدو أنه شرد عن دوره ولم نعد نسمع بتواجدهم على المحطات الفضائية على الأقل إلا في حالت صراعهم وتقاتلهم على الكراسي، مجسدين الأدوار المطلوبة منهم والتي ترسمها لهم بعض الدول العربية والإقليمية.

أمريكا بدورها تحارب التطرف وتؤلف مسرحية " الحلف الدولي" خارج " سرب الأمم المتحدة "، أي بدون فيتو روسي أو صيني، ويبقى النظام السوري يغرد بصواريخه وطائراته فوق رؤوس السوريين، ولم يدرج بعد على قائمة " التطرف"، حتى أن أحداً لم يسأل لماذا؟.

كوباني تغطى إعلامياً بشكل قوي على حساب الكثير من البطولات التي حدثت وتحدث على أيدي المجاهدين، وعلى سبيل المثال غابت " الدخانية " وما حققته من إنجازات عسكرية هامة ليس لما تمثله المنطقة من أهمية فحسب بل كونها ساهمت في إحباط عملية عسكرية للنظام، وقتل عدد كبير من الشبيحة وضباط برتبٍ مختلفة، أيضاً غاب عن الإعلام العربي إجرام النظام واستمراره بقتل المدنيين بالبراميل المتفجرة، حيث كانت ولا تزال محاربة " داعش " هي الستار لمحاربة الفصائل المجاهدة والعاملة تحت راية الإسلام.

ميدانياً تصاعدت وتيرة المعارك في جوبر وصولاً إلى مناطق الدباغة ومسالخ المواشي بالقرب من برج 8 آذار المعروف ببرج الموت في منطقة الزبلطاني، حيث تمكن الثوار من السيطرة على أجزاء من ثكنة " كمال مشارقة " وبعض العتاد والآليات ويذكر أن قتلى النظام بالعشرات.

من جانب آخر لاتزال مشكلة انقطاع التيار الكهربائي حديث الشارع والتي انهكت المواطنين خلال السنوات الماضية، وعلى ما يبدو فإن وزير كهرباء النظام "عماد خميس" يطالب برفع سعر الطاقة الكهربائية، بعد تجاوز حكومته كل الخطوط الحمراء ورفع تسعيرة الكثير من المواد الأساسية، في اقتراح قدمه لمجلس الشعب في الجلسة الأخيرة.

ولعل المواطن يسأل: ألم يكن من الأولى ضبط العمليات المنهجة لسرقة الكهرباء العلنية والتي تؤثر بطريقة مباشرة على الطاقة الكهربائية، والتي تتركز في مناطق معروفة حيث ينتشر شبيحته وعناصر دفاعه الوطني، هي ذاتها المناطق التي لطالما عمد النظام قبل الثورة وفي أثنائها إلى غضّ النظر عنها وتجاهلها بل إنه ميزها بخفض ساعات التقنين مقارنة بالمناطق الأخرى، في حين حوَّل نظره إلى الفئات الأكثر ضعفاً وفقراً ليقوم بمعاقبتها، ومحاسبتها.

يذكر أن وزير الكهرباء قد طلب مؤخراً من مديريه العاملين في كهرباء ريف دمشق، عدم تقديم التيار لأكثر من ساعتين، لكل منطقة أو قرية ليس فيها جباية لفواتير الكهرباء، في إشارة منه إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام.

الاستياء من نظام الأسد يتكرر مرةً أخرى في طرطوس " الخزان البشري " للنظام من حيث مقاتليه، بعد خروج تظاهرات تندد بافتتاح مشاريع سياحية هناك في وقتٍ تتزايد فيه حصيلة القتلى من أبناء طرطوس، هذه التظاهرة قوبلت باعتقال من شارك بها، وتعيد للأذهان حملة "صرخة" التي نظمت تظاهرات مشابهة قبل أشهر.

تسرب مياه الشرب والهدر الكبير لم يلق آذاناً صاغية من قبل الجهات المعنية لإصلاحه وإيقاف نزيفه في ظل الشح الذي تعانيه قدسيا من المياه وما سببته من خوفٍ لدى الشارع، وفي سياقٍ متصل يقدم الفرن رغيف الخبز برائحة " المازوت "، ولم نستطع الوقوف على السبب، في ظل شكوى الناس من ذلك، وبدورنا نلفت نظر المسؤولين ونضعهم أمام ضرورة معالجة الموضوع.

عيون الثورة بأقلامها

عيونُ الثورة بأقلامها، وأقلامُ إعلام النِّظام مغروسة في عيونه، لقد حرصَ نظام الأسد على خلط الأوراق مثلما سعى في تقطيع الأعناق، وتمزيق البلاد وتشريد العباد، وثمة لعبة مكشوفة لجأ إليها النظام ولَعِبَها إنَّما بكلِّ غباء، وهي لعبة الإعلام، وفي تقارير سريَّة صادرة عن أجهزة النظام تمَّ الحصول عليها نقرأ عبارة تشير إلى أنَّ النظام منذ شهرين بدأ يشهد نكسةً حقيقية على صعيد الإعلام، وهذا ما دفعه إلى عقد اجتماعات للبحث عن حلول لاستقطاب المزيد من الأنصار بعد أن انفضَّ كثير من الشبيحة من حوله، ولا سيَّما على الجبهات الساخنة بعد أن كَثُرَ تذمُّرُ الموالين للنظام من أكاذيب النظام التي باتت سخيفة ومكشوفة، بل إن التقارير المسرَّبة إلينا تحكي عن خصوماتٍ بدأت تظهر بجلاء في الدهاليز السِّرية للمؤسسات الإعلامية التابعة للنظام، وتشير التقارير إلا أنه لم تعد كل تلك المؤسسات الإعلامية الحكوميَّة تثمر في حشد المؤيدين للنظام، وبدأ يظهر للعيان غباء التقارير الإعلامية المتضاربة، وغباء حملات التطبيل والتزمير والتطبيل، ولاسيما ما ذكرته التقارير من الشرخ في الإعلام الحكومي الذي بدأ يكبر بين الموالين للنظام الذين راحوا يتذمرون من أكاذيب إعلام الأسد ويطالبون بإقالة كبار مسؤولي الإعلام بعد سلسلة من الأكاذيب التي حقن بها أذهانهم وكانت نتيجتها مقتل أبنائهم من الشبيحة الذين حُرِمَ كثيرٌ منهم من فرصة عودة جثته إلى أهليه في القرى الموالية، وكلُّنا يذكر انطلاق الحملة المشهورة (وينن؟!).

وفي حين كان إعلام النظام يصرُّ على تنزيه القائد الخالد في جهنم وسلالة النصابين المتاجرين بدماء الموالين للنظام وكانت صورة ذلك النظام في الإعلام الرسميِّ هي صورة الحاكم المنزَّه الذي لم يخطئ ولا يخطئ، وفي حين كان إعلام النظام يخفي كلَّ عورات النظام عن أنصار النظام وعن أعداء النظام؛ في كل تلك الظروف نشأ إعلام آخر فرضته الحاجة إليه وهو إعلام الثورة البديل، وفي مقارنةٍ بسيطة من غير تمجيد يُجافي الواقع أقول إن إعلام النظام بقي ينزّه الحاكم عن الخطأ في حين كان إعلام الثورة سيفَ حقّ مسلَّط على رقاب الجميع حتى أنصار الثورة أنفسهم، فنراه يذكر للمُحْسِن إحسانه ويعد للمسيء عيوبه، وكلُّنا يذكر مقالات كتبَها الثوَّار في إعلامهم يذكرون فيها ممارسات خاطئة لبعض المنتمين للثورة والمتسلّقين على شجرتها، أو بعض أخطاء وقعَتْ فيها قيادات الثورة بسبب قلَّة الخبرة أو غير ذلك، ولم يبق أحد في إعلام الثورة مُنزَّهاً ومُمَجَّداً سوى الحقّ، وإنَّ النظر في تأثير إعلامنا البديل (الإعلام الثوري) يؤكد أنه بات محلَّ ثقةٍ حتى عند الموالين للنظام من العامَّة المتضرِّرين لا الحكَّام المنتفعين، فعلى سبيل المثال استطاع كثير من الموالين للأسد أن يترصدوا الأخبار الحقيقية لمصير أبنائهم في بعد انجلاء بعض المعارك على الأرض من خلال إعلام الثورة في حين بقي إعلام النظام يُزَوِّر الحقائق لأنه يخشى من أن ينفضَّ عنه أنصاره، ولم يحصلوا من إعلام النظام سوى على الأكاذيب، وما مثال مصير الشبيحة في حادثة مطار الطبقة ومصير الشبيحة في معارك القلمون الأخيرة ببعيدة عن الأذهان، وقد أشارت تقارير النظام الإعلامية السِّرية إلى أنَّ كثيراً من أنصار النظام باتوا غير واثقين بإعلام النظام.

من ناحيةٍ أخرى كان النظام منذ بداية الثورة حريصاً على استهداف كوادر إعلاميي الثورة، وقد أظهر وحشيته في محاولة وأد إعلام الثورة لأن أكثر ما يخشاه هو كلمة الحق التي تؤثر في الأحياء الذين لم تمت خلايا ضميرهم الحي، وما زال النظام يخشى الكلمة مثلما يخشى الرصاص، فالثورة السورية في بواكير بداياتها كانت قائمة على الكلمة، بدءاً من هتافات الثوار وأناشيدهم التي ما زالت ساكنة في كل نبضٍ من قلوبنا الدافئة، ثم وصولاً إلى مرحلة نشوء الصحف الثورية التي حملت لواء جهاد الكلمة، ومنها هذه الصحيفة بين أيديكم، وقد كان لصحف الثورة شهداء في سبيل الواجب، نذكرهم بكل فخر، ونسأل الله أن يجعلهم في عداد شهداء الواجب الوطني في سبيل نصرة الحق، وكان للثورة رجال من حملة القلم الشريف الذي أمسكته يدٌ لا تهاب الموت ولا تخشى نهيق المكذِّبين ووعيد المتوعدِّين وجعجعة إعلام الأسد الكاذب، صحف الثورة السورية في الإعلام البديل من ورائها رجال أحرار لم يكمُّوا أفواههم عن النطق بالخبر الصادق، ونطقوا بالحقّ ولو على أنفسهم، طرَّزوا كتاباتهم بدمهم المسفوح ظلماً بيد النظام القاتل، وبقيت كلمتهم رصاصةً في صدر الظالمين، أولئك شهداء منابر الحق الذين ألهبوا بكتاباتهم قلوب المتعطشين للحقيقة، ورسموا البسمة في وجه الوطن حتى في أحلك ظروف الثورة وأشدِّها على الناس قسوة، حقّاً إنَّ ثورتنا قد ولدت ثورةً يتيمةً، لكنها لم تكن يوماً عقيمةً، لقد أنجبت من الكوادر الإعلامية مَنْ ندَّخرهم لمستقبل إعلامٍ سوري حرٍّ، بعد أن تشرق شمس وطننا الحرِّ الذي عاش مجازر تكميم الأفواه وكتم الأنفاس وتحطيم الأقلام، لأنه رفضَ طمسَ الحقيقة وتأليه الحاكم وعبادة الأصنام، ومواجهة كلمة الحقّ بالقتل تلك هي لعبة كل حاكم مجرم ..

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾.

نبيل شبيب

إلى جانب الثورة.. لا بد من الإعداد للتغيير

مـــــــــــاذا نريـــــــــــــــد؟..

لن يتحقق التغيير ما بقي المتسلطون.. هذا صحيح، ولكن لا يتحقــق أيضـــاً بمجـــرد تبـــديل الســـلطة تحقيق هدف الثورة يعني التغيير الشامل على مستويات عديدة وفي ميادين عديدة، ترتبط بالمواصفات الفردية والعمل الجماعي، وترتبط بمفاصل القوة العسكرية والأمنية والمالية، ومفاصل الأركان الدستورية والتشريعية والتنفيذية والحقوقية، ومفاصل المجتمع الفكرية والعلمية والأدبية والتربوية والإعلامية وغيرها. التغيير إذن جذري واسع النطاق، ولكنه قابل للتحقيق عبر نهج أساسي: توازي العمل السليم بين: (١) التوجه الدائم نحو الهدف البعيد وهو النهوض و(٢) المراحل الآنية على أمواج متتابعة من المواجهات والمعاناة، ومن إنجازات مرئية فاعلة بمعيار الهدف البعيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــد.

هذا ما يفرض علينا -أثناء «اللحظة الثورية»- عملاً متواصلاً ومراجعات متجددة، وكذلك التخطيط، ولكنه لا يأتي في مسار الثورات عبر الأمر به، ولا عبر تراشق الاتهامات، ولا تدافع المسؤولية، ناهيك عن التمني وحده.

متـــــــــى يبـــــــــدأ البنــــــــاء؟

مثالٌ أول: لن تتوافر في المستقبل الرقابة الشعبية عبر الإعلام وتنظيمات المجتمع الأهلي، ما لم تتوافر في مسار الثورة البذرة الأولية لشروط صحة العمل الصغير أو الكبير، مع الرؤية المستقبلية التي تدفع للحرص -الآن- داخل الوسائل الوليدة في عالم الإعلام والعمل الأهلي، على الارتفاع المطرد بمستوى مـــا صـــنعته الثـــورة جنينـــاً ناشـــئاً.

مثال آخر: لن تتوافر مستقبلاً المحاسبة الحقوقية الدستورية عبر المنظومة القضائية، وتتوافر المحاسبة الشعبية عبر المنظومة التشريعية، ما لم تتوافر -الآن- داخل التنظيمات والتجمعات، الجهود الضرورية تنظيراً، والتجربة التطبيقية سلوكاً، لترسيخ المعالم الكبرى لهذه المحاسبة وآلياتها وضمانات فاعليتها، وموضعها من الصورة الشاملة للدولة والمجتمـــــــــــــــع مســــــــــــــــتقبلا.

مثال ثالث: لن تتوافر مستقبلاً القوة العسكرية والأمنية لتستقر دولة المستقبل على محور الإرادة الشعبية وإنسانية الإنسان، ما لم تتوافر -الآن- في واقع الثورة الشروط الأساسية لاستيعاب الموقع المشروع لهذه القوة وضوابط علاقاتها بصناعة القرار السياسي والمالي والاقتصادي والمجتمعي. نقـــول بلســـان الواقـــع إذن: لا يكفي في حمل أمانة الثورة مجرد امتلاك سلاح وتأسيس كيان سياسي وممارسة إعلام وتشكيل هيئة «شرعية».. ولهذا أصبح يوجد في سورية ما لا يحصى من جميع ذلك، ونشـــكو كثـــيراً مـــن نتـــائج «كثرتـــه».

مـــــــــاذا بعـــــــد «القحـــــــط»؟..

ليس حجم التغيير «الجذري الشامل» الذي دخلنا أبوابه عبر الثورات «أمراً اختيارياً».. فلن نستطيع أن نجعله «صغيراً» أو «كبيراً»، وإلا لم يكن تغييراً، ولا كانت «الثورة» بوابةً له.. ونعلم أنها انطلقت بعد «حقبة القحط»: افتقاد حرية الإرادة الفردية الواعية وحرية العمل الجماعي الصالح، في مختلف الميادين لا الميدان السياسي فقط، **فكيف يكون التغيير دون شمول جميع الميــــــــــــــــــادين؟..**

دولة المستقبل تحتاج إلى علماء المستقبل، وجنود المستقبل، ومفكري المستقبل، وفناني المستقبل، وساسة المستقبل، وباحثي المستقبل.. ذكوراً وإناثاً، شباباً وكهولاً، أي نحتاج إلى جيل كامل يقوم بأعباء المستقبل، وليس بين أيدينا «جيل المستقبل» وإن وجدت بذور نشأته عبر عطاءات طاقات مبدعة، إنما هو حتى الآن «جيل الثورة»، الذي «بدأ» يتحرر من أثقال حقبة القحط الماضية.

هل يتحول إلى جيل المستقبل، وينفض عن نفسه الموروث من حقبة القحط في الماضي القريب؟..

نعم ولكن ليس بين ليلة وضحاها، مهما كانت لياليه وأيامه «ثورية» حافلة بالتضحيات والمعاناة وبالبطولات المضيئة إلى العلياء.. فلا بد أن تحفل بالعمل النوعي الدائب الهادف أيضاً. هنا يجب أن يتحرك كل طرف في موقعه، وفق تخصصه، وأن يتحرك الجميع «معاً» عبر التواصل والتعاون، بهدف التكامل وليس هيمنة جانبٍ على جانب أو سيطرة طرفٍ على طرف.

عندما تُنتهك السيادة..

وإن استفاق السوريون صباح هذين اليومين على وقع الأخبار البائسة، والمزعجة، إلا أنه لا يوجد شبهٌ بين فجر الخميس 17/1/1991، الذي بدأت فيه عملية عاصفة الصحراء ضد العراق، وبين فجر الثلاثاء 23/9/2014، الذي بدأت فيه عمليات القصف الأمريكي ـ العربي على مناطق شمال، وشرق سوريا، والتي لم نعلم لها اسماً رمزياً بعد.

الاهتمام، والمتابعة، والزخم الشعبي الذي رافق التاريخ الأول، كان غائباً هذه المرة، والغضب العارم الذي عم الشارع السوري في الميعاد الأول، لم يعد موجوداً، ورغم تشابه الحدث الأساسي في هذين الصباحين، ونعني به القصف الجوي الأجنبي ضد مواقع، وأهداف عسكرية على أرض دولةٍ عربيةٍ، وتكرره بمشهديةٍ ساخرةٍ، إلّا أن الاستجابة العامة، لم تكن واحدةٍ في الحالتين، بل ولا تبدو متشابهةً حتى. في الحالة الأولى، لم يختلف سوريان على اعتبار القصف الغربي اعتداءً، وانتهاكاً للسيادة الوطنية لدولةٍ شقيقةٍ، بل وعَدهِ عدواناً سافراً على الأمة العربية، فيما الحال الآن لم يبدُ لكثير من السوريين أنه كذلك، ولا يكاد يجمع سوريان اليوم على تحديدٍ، أو توصيفٍ مشتركٍ لهذا القصف، وقد تكون هذه أيضًا، من العجائب، والغرائب التي لم تكف عن الإدهاش، والدفع نحو الغرق أكثر في الحيرة، وانعدام اليقين.

ولا شك أن لتغير التاريخ، وتبدل الظروف، واختلاف السياق الذي أتى فيه التدخل الأخير، بالإضافة إلى ما مر على السوريين من أحداث، وما عاشوه من فظائع، ومجازر، واعتقالات، وتهجير خلال السنوات الثلاث الماضية، على يد مدعي معاداة الإمبريالية، أدى لاضطراب أفكارهم، وتغير قناعاتهم، خصوصاً بعد انقسام بلدهم، وتفككه، وانهيار بنية مجتمعهم، إضافة إلى تقلبات الأحداث في المحيط الإقليمي، على إثر الثورات والانتفاضات العربية، التي طاولت تداعياتها الكثير من المعتقدات، والمفاهيم السائدة، وأعادت ترتيب الأولويات العامة، والفردية، فتراجعت مركزية مفهوم السيادة، في مقابل تقدم مفاهيم حقوق الإنسان، وحريته، وتصاعد حدة العداء تجاه الاحتلال الداخلي، على حساب العداء للاحتلال الخارجي، وتغير النظرة لما يسمى بالتدخل الأجنبي.

أنتج ما سبق أثره الواضح على تفاعل السوريين، واستجابتهم السياسية، والنفسية، وإن لم يمنع ذلك من أن يكون الشعور العام عند الكثير منهم، هو الضيق، والانزعاج، واليأس، ولا سيّما بعد معرفتهم، أن صواريخ قوات التحالف لم تستهدف تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وحسب، بل طالت أيضاً، مقرات، ومواقع تابعة لـ"جبهة النصرة"، وبعض الكتائب الإسلامية الأخرى، التي وإن كان الكثيرون يختلفون معها، ولا يوافقون على توجهاتها العقائدية، والسياسية، إلا أنهم لا ينكرون دورها البارز في قتال قوات النظام، والتصدي للميلشيات الطائفية المحلية، والمستوردة.

ويبدو أن أوراق الاعتماد التي تقدمت بها "جبهة النصرة" مؤخراً، بعدما تصاعد الكلام عن نية التدخل العسكري، والتي تمثلت بتقارب "النصرة" مع خط الجبهة الإسلامية، وإطلاقها لسراح الصحافي الأمريكي "بيتر ثيو كورتيس"، وإطلاق سراح الجنود الفيجيين، العاملين ضمن قوات الأمم المتحدة المعروفة باسم "الأندوف"، كمحاولة منها لتسليط الأضواء على خطوط التمايز، والاختلاف عن تنظيم "الدولة"، ولتوظيف تلك العمليات في تعزيز موقعها، ورصيدها، وتحسين سمعتها المحلية، والدولية، على أمل أن تقوم القوى، والمراكز السياسية، والاستخبارية، والعسكرية المعنية برسم الاستراتيجيات، ووضع الخطط، بأخذ تلك الفروق بعين الاعتبار.

لكن الأمور لم تجرِ على النحو الذي تمنّته "جبهة النصرة"، أو أراده السوريون، وفضلاً عن ذلك فقد جاءت أولى الضربات الجوية مخيبةً لآمال فصائل إسلامية عسكرية أخرى، فقد طال القصف مواقع لعدة حركات، وفصائل من تلك المحسوبة على التيارات السلفية، وإن لم تكن محسوبةً على الخط "القاعدي"، فيما عدا حركة "أحرار الشام الإسلامية"، المتهمة بقربها من "القاعدة"، والتي طال القصف مراكزها، والتي يُعتقد أنها باتت في طريقها إلى الزوال، بعدما استُهدفت قيادتها الرئيسة، بتفجيرٍ غامضٍ قبل أسابيع.

وقد يعود سبب شعور السوريين بالإحباط، واليأس بعد بداية القصف على المناطق السورية، تأكدهم أن تلك العمليات لم تأتِ لنجدتهم، ونصرتهم، وهي قد تزيد وضعهم سوءاً، في مواجهة النظام، ذلك أن تلك الهجمات استهدفت مباشرةً أعداء "الأسد"، فيما قواته، وميلشياته مستمرة بدورها، وبالتزامن مع تلك الضربات، بعملياتها اليومية المعتادة ضد السوريين، وفي جميع أنحاء البلاد، وهذا ما قد يؤشر إلى أنه لا توجد قيمة حقيقية للكلام عن عدم التنسيق مع "الأسد"، أو للحديث عن استبعاده، وطهران عن التحالف، أو التعاون، ولا يبدو أن الولايات المتحدة قد أسقطت النظام السوري من حساباتها السياسية، أو أنها حسمت مصيره، ولا يبدو أيضاً، أنها بصدد تغيير استراتيجيتها حيال الوضع السوري عموماً، وبما يتجاوز محاربة إرهاب "داعش"، وأشباهها، إلى التصدي لإرهاب النظام، أو لإرهاب الميليشيات الشيعية في سوريا، وباقي المنطقة.

وربما كان استناد النظام إلى هذه المعطيات، أو حصوله سراً، على بعض التطمينات، أو الضمانات، هي ما سمحت له بالاستمرار في الأداء الميداني ذاته، وهي ما أعطت الذريعة أيضاً، لوسائل إعلامه للتصريح أن النظام طرف واقعي موجود، وفاعل ، في الحرب على الإرهاب، والتبجح أن العمليات الأولى تلك، تمت بالتنسيق معه، فالسرعة، والمفاجأة التي بدأ فيها القصف، تدفع للتساؤل عن البديل الذي سيملأ الفراغ، الذي قد ينشأ فيما لو تراجعت "داعش"، ويبرر التخوف من أن يكون ذلك البديل هو النظام، أو الميليشيـــــــات

فريق QMT قدسيا الإعلامي

المرتبطة به، كميليشيات حزب ''PYD'' الكردي، على اعتبار أن التسليح، والتدريب المفترض لقوات المعارضة ''المعتدلة'' لم يبدأ فعلياً، ولا يُعرف إن كانت الولايات المتحدة ستَصدق هذه المرة في وعودها، وتنفذ ما أعلنته في هذا المجال من سياسات، وخطط.

بدورها الولايات المتحدة لم تترك مجالاً للشك حول أسباب التدخل، وهو منع تعرض أمنها، ومصالحها للخطر، وهي قد أعلنت عن وجود تنظيمٍ يدعى ''مجموعة خراسان''، كان قد وصل لمراحل الإعداد الأخيرة لعمليات تستهدف مصالح الولايات المتحدة، وليس معروفاً إن كان كلام المسؤولين الأمريكيين صحيحاً، وخصوصاً أن التنظيم المذكور لم يكن معروفاً سابقاً.

والحقيقة، أنه لا توجد معطيات ملموسة أكثر للتثبت من وجود تلك التنظيمات، ولا لمعرفة إن كانت مرتبطة بـ''داعش''، أم هي تنظيماتٌ مستقلةٌ، ولا للتقرير إن كانت ''الكتيبة الخضراء'' و''الكتيبة الخرساء'' هي كتيبة واحدةً باسمين، ولا تحديد حجمها، ودورها، وأهدافها، واستراتيجياتها؛ لكن ما يمكن تأكيده، هو أن الولايات المتحدة تملك الكثير من المعلومات، وقد حصلت عليها في الأغلب عن طريق تعاونها مع النظام السوري، بالدرجة الأولى، وهو ما يؤكد رغبتها في الإبقاء عليه، والاستفادة منه.

وفي الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة، والدول المتحالفة، لتحافظ كلٌّ منها على أمنها، وتحقق مصالحها، يجهد النظام السوري بدوره لتعزيز أدواره، وتأكيد وجوده، وتسعى كل من إيران، وروسيا، وإسرائيل لتحقيق طموحاتها، ومشاريعها التوسعية، فيما يبقى الشعب السوري وحده، مستمراً في دفع الثمن، من أمنه، ووجوده، ومصالحه، ومن أرواح أبنائه، وحرياتهم، في حروب الآخرين على أرضه. لذلك، كان من الطبيعي جداً أن تكون اللامبالاة، الممزوجة باليأس، والسخرية سلاح السوريين الرئيس في مواجهة ''الاعتداء'' الجديد على ''السيادة الوطنية''.

ل . ن

ما بعد الشتات الفلسطيني ..... سوريون بأكثر من عنوان والبقية تأتي !!

على أمل أن تحملهم الأمواج إلى برٍ بلا موت، باتوا لاجئين أو هاربين أو مهربين، لا فرق، كلهم سوريون يبحثون عن أمل، والمفارقة ربما، كما يراها البعض، أنّ حالنا كان أفضل قبل الثورة، على الأقل، كنا نرى مستقبلنا في بلدنا، رغم سذاجته ومحدوديته، لكن حتى هذا بات صعباً إن لم نقل مستحيلاً بعد قيام الثورة.

وتختلف حكايا الواصلين أو العائدين، وما يُروى عن الغرقى، لكن لا تخلو روايةٌ ما، من ذلٍ مبطن، لا لأن السفر يبدو حلاً يائساً، بل لأن الشعوب والحكومات الأخرى، باتت ترى في السوريين القادمين إليها، مشاريع لاستغلالٍ مباح، كما في حالات زواج السوريات من جنسياتٍ أخرى، متعة لا أكثر، في امتهان الآخر، والاستقواء على ما تبقى من إنسانيته، ولا أدري إن عاش الفلسطينيون وضعاً مشابهاً قبل سنين طويلة.

المؤلم أكثر، أن نجابه الموت في البحار والغابات، مع جبروته وضآلتنا، رفضا لموتٍ آخر، على أرضنا، كأن الشاطئ القادم، عرفنا يوماً، كأن الشتات خيارنا الأول، أو مصيبتنا الأخيرة، أخشى أن أصحو يوماً على فجيعة الخواء، كل سوري يغادرنا، يضرب مسماراً في جسد الثورة، وكل سوري نفقده مختنقاً بملوحة النجاة، يجرنا معه إلى القاع.

لكن هل كل ما سبق، بحثٌ عن أمل؟، ربما يكون هذا سبباً عند البعض، لو ظاهرياً، لكنه في جوهره، خيار الانسحاب، الهروب من قتالٍ قد يطول، وأبوابٍ بلا مفاتيح، من طرقاتٍ بلا نهايات، ووطنٍ على حافة الانتظار، وهل أكثر بؤساً من ذلك؟.

قبل أن يخبر والديه، بقراره في السفر إلى الشواطئ الليبية، انتظر أيهم، ليعرف أولاً، نتيجته في البكالوريا، وفي حقيبته الوحيدة، لم يجد مكاناً للشهادة، تركها وغادر، ربما تلمسها في مخيلته، قبل أن يلامس جسده، صخور الشاطئ، منتفخاً كفقاعة، تلاشت بين الأجساد، وعلى شاطئ قبرص، كان للسوريين حظٌ أفضل من الموت، الاعتقال، حتى البت في أمرهم.

هل نصبح كما وصفونا في برنامج تلفزيوني (سوريون بلا عنوان)؟!، لا نلوم المغادرين أبداً، ولا نملك وعداً لمن ينتظر، ولا أمل نستحلفهم به، كل ما في الأمر، اشتهاءٌ لموتٍ على أرضٍ نعرفها، ووطنٍ ثرنا لأجله، قبالة شهداءٍ كانوا أكثر منا جرأةً، آمنوا أن الشاطئ في قلوبنا، والبر من صنع أيدينا، ودّعوا صباحات الملل، وساروا دون التفاتة، حقائبهم حلمٌ بوطنٍ لا يضيق بأبنائه، علّ البحر يأتي بالمسافرين جميعهم، ونلتقي ونتصافح، ونتذكر ما كان يوماً سبباً للرحيل، ونضحك.

بين مطرقة النظام والشتاء

يحاول نظام الأسد الاستفادة من اقتراب فصل الشتاء والاستفادة من الورقة الاقتصادية كورقةٍ رابحة يمكن أن تؤثر بمزيدٍ من الضغط على الناس وتساعدهم في تمويل حربه ضدهم وخلال هذا الأسبوع بدأت تداعيات رفع أسعار المحروقات في سوريا تُلقي بظلالها على أجور النقل، حيث عمد سائقوا السرافيس في العاصمة دمشق وريفها الخاضع لسيطرة النظام إلى رفع تسعيرتهم بمبادرة ذاتية منهم. حيث ارتفعت بمعدل خمس إلى عشرة ليرات عن التسعيرة القديمة كأجرة تنقل داخلية، في حين أنَّ ارتفاع أجور النقل بات ظاهرة اتبعها كل سائقي وسائط النقل العامة، سواء تكاسي أو سرفيس، حيث تراوحت مؤخراً تسعيرة النقل بواسطة السرافيس بين دمشق وأي من أريافها بين 50 إلى 75 ل.س، في غياب واضح للرقابة "الحكومية" على أجور النقل. ذريعة السائقين هي القرار الحكومي الذي رفع أسعار البنزين والمازوت. وكان مجلس الوزراء قد أصدر قبل عيد الأضحى قراراً رفع خلاله سعر ليتر المازوت الحر ليصل إلى 80 ل.س، كما رفع ليتر البنزين إلى 140 ل.س، وسط استهجان من قبل المواطنين. سبق القرار إغلاق العديد من محطات بيع الوقود في العاصمة دمشق حتى إشعار آخر لعدم توافر المادة، وهو ما تزامن مع إضراب عن العمل نفذه سائقو وسائط النقل العامة. لماذا قرر نظام الأسد رفع أسعار البنزين والمازوت في هذا التوقيت بالذات؟، وهل من علاقة بين هذا القرار وبين تداعيات ضربات التحالف الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" والتي استهدف بعضها منشآت نفطية في الجزيرة السورية؟

يعتقد مراقبون أن ضربات التحالف الأخيرة، والتي استهدف بعضها منشآت نفطية وأخرى للغاز تعمل في مناطق سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" في محافظات الجزيرة السورية الثلاث، أضرت بالنظام، وأدت إلى تقلص كميات النفط والغاز المنساب من الحقول الخاضعة لسيطرة تنظيم "الدولة" إلى المصافي ومحطات توليد الطاقة الخاضعة لسيطرة النظام، بناء على اتفاق سرّي بين الطرفين. وقلّص من قدرة النظام على الاستفادة من موارد منشآت الجزيرة التي توقف معظمها عن العمل، في تعبير عن أزمة جديدة تطول قدرته على تأمين المحروقات لسد حاجات المناطق الخاضعة لسيطرته. لم ينفِ أحد الخبراء النفطيين هذه الفرضية بالمجمل، إذ إن هناك معلومات لديه تتحدث أن منشآت النفط والغاز الخاضعة لسيطرة تنظيم "الدولة" في الجزيرة السورية، لم تتوقف بشكل نهائي، مضيفاً أن حقل "العمر"، على سبيل المثال، مازال يعمل، وإن بوتيرة أخف من السابق. ويعتقد الخبير أن ضربات التحالف التي أدت إلى تراجع وتيرة العمل في معظم منشآت النفط والغاز في الجزيرة السورية، قد تكون أحد أسباب قرار حكومة النظام رفع أسعار البنزين والمازوت، لكنه يعتقد أيضاً أن هناك سبباً آخر قد يكون الأساس في قرار رفع الأسعار، وهو إقبال الناس على شراء المشتقات النفطية بكثافة في هذا التوقيت من السنة، ورغبة النظام في الاستفادة من ذلك، عبر رفع الأسعار، وبالتالي دعم ميزانيته.

النتيجة النهائية أن رفع سعر المحروقات من جانب النظام سيؤدي إلى ارتفاع أسعار هذه المواد في السوق السوداء، التي يستفيد الكثير من مسؤولي النظام وشبكاتهم منها. حيث يعاني السوريون سنوياً من صعوبة الحصول على المازوت والبنزين بالطرق الطبيعية، مما يضطرهم للجوء إلى شراء هذه المواد من مصادر السوق السوداء التي تبيع بأضعاف السعر الرسمي. ويعتقد مراقبون عدة أن مسؤولي النظام الأمنيين والعسكريين يستفيدون من هذه السوق عبر شبكاتهم المتغلغلة فيها. بالتالي فإن دور السوق السوداء في دعم خزينة النظام، عبر رفع أسعار البنزين والمازوت في توقيت يزداد فيه الطلب على هذه السلع، هي كلمة السرّ الأساسية، وراء قرار رفع الأسعار.

هيثم الصالحاني

هي ذات الحكاية .. الحكاية التي تتحدث عن الهمجية وأسلوب الإمعان بقتل المدنيين دون رحمة أو حتى تمييز، فالغاية الدم، لا فرق بين أن تحمل سلاحاً أو أن تحمل في يدك ما تسد به جوع أبنائك وتروي به عطشهم، لا فرق، فالمهم أنك من الطرف المقابل وهو طرف الأعداء، وتلك التهمة تجعل منك هدفاً لنيران الحقد والغدر، أو فريسة للاعتقال.

صورةٌ عاشتها مدينة قدسيا وذاق الناس مرارتها، والنتيجةُ أعدادٌ راحت ضحية موقع مدينتهم الجغرافي القريب من مستوطنات الشبيحة، لم يكن لهم أن يتخيلوا أن جيرانهم سينقلبون عليهم، ويحصدون أرواح أبنائهم، لم يكونوا ليعلموا أن ما اجتمعوا عليه طيلة عقودٍ سيفرقها خيارٌ اتخذته ووقفت في صفه، بل أكثر من ذلك، إن لم تختر الوقوف معهم كنت هدفاً حلالاً، لا شفيع لك فيه.

الكثير من الشباب والنساء قضوا على هذا النحو، بين قتلٍ فردي أو جماعي كما حدث عند اقتحام الجيش للمدينة، أو نتيجة القصف الذي عاشته، أو القنص بلا مبرر.

واحدةٌ من هذه القصص تمثل ما تحدثنا عنه بلا تطويل، والمعنى أو الرسالة مفادها " القتل للقتل " هكذا شاء الشبيحة، ووافقهم نظام الأسد.

ففي يوم 20/3/2014 يمشي الشاب "هيثم الصالحاني" ليحضر لأبنائه قوت يومهم من الخبز، وكغيره من الناس الذين لم يحملوا إلا همّ عيالهم كانت أيامه تمضي، بعيداً عن ساحة الأحداث الواقعة، في عالمٍ يحاصره القلق المادي وشبح الموت... في ظل ظروفٍ عانها السوريون في الداخل تحت وطأة ومرارة التعب في تحصيل لقمة يومهم، خرج والخوف بلا شك كان بين جوانحه، خرج ولم يعلم أنه لن يعود إلى أطفاله إلا مضرجاً بدمه.

تزامن وقت وصوله إلى منزله مع سقوط إحدى قذائف الهاون، لتطاله شظايها قبل أن يدخل إلى أبنائه ويثلج صدورهم برغيفٍ ساخن.

يبدو أن سخونة اليوم كانت أسرع إليه مما اعتقد، فالكل يومها كان يشق طريقه مسرعاً خائفاً من آلة الغدر، وليضاف اسمٌ جديد في قوافل من قُتلوا بدمٍ بارد..

هيثم الصالحاني... ابن المدينة راح ضحيةً ومثالاً على تلكم الصورة، مخلفاً ورائه طفلين...

شهداؤنا في الذاكرة دوماً... لن ننساكم حتى نلحق بكم .

كاريكاتير العدد